شوال — ذو القعدة ١٣٥٣ السنة الثالثة — Troisième Année Janvier - Février 1935

مجلة المغرب

تثقيفية عمرانية أدبية MAJALLAT EL MAGHRIB مديرها : محمد الصالح ميسة

تنظيم الاحسان

لعله لم يخل عدد من أعداد هاته المجلة من التحدث عن الاحسان ، ولا بدع في تمسكنا بهذا الموضوع فإن الاحسان من آكد واجبات الانسانية المعذبة وقد دعت اليه سائر الاديان وامتاز الاسلام على غيره بجعل حقوق الفقراء في دستوره المقدس واتخاذ جزء من أموال الموسرين لفائدة المعوزين ركناً من أركانه الخمس ، ولم يجعل الصدقة من المستحبات فقط واكتفى بالارشاد اليها كما فعلت الاديان وكما كان الامر قبله بل فرضها فرضاً على الخلق أجمعين واجب أداؤه ومحتم قضاؤه ، وزاد الى ذلك أن جعل الصدقة في كثير من الشعائر الدينية كفطرة رمضان مثلا ، بحيث أن المسلم يجد نفسه في جل أحواله مجبوراً على التوجه الى الفقراء والمساكين .

ومن العجيب أن الامم التي يوجب عليها دينها بهذه المثابة — أكثر مما توجبه الاديان الاخرى على ذويها — العناية بالفقراء وشرك في أموالهم أخوانهم المنكوبين هم أقل الناس بذلاً وأشدهم بخلاً وأكثرهم إهمالاً لحق المساكين ، يشير إلى ذلك ازدحام السوالين في مدنهم وزمر الرجال والنساء والاطفال العراة الحفاة الذين يملأون الفضاء ويتسكعون في الطرقات ويضايقون المارة ويسألون الناس إلحافاً في الاسواق .

والحق أن أجدادنا كانوا على خلاف ذلك ، كانوا جامعين لسائر الفضائل التي أكبرها الرحمة واسعاف المساكين والتاريخ أكبر شاهد وآثارهم الباقية تدل عما كان لهم من أياد بيضاء في هذا الميدان ، وكانت بلغت لديهم عاطفة الرحمة الى حد أنهم حبسوا الاحباس للطير والحيوانات كما سبق لنا أن أعطينا أمثلة غريبة من ذلك ، والمسلمون اليوم لا يشبهون في شيء آباءهم الاكرمين وأوائلهم المطهرين بل اشتد الخلف بينهم وبين أوائلهم حتى صار من المتعسر أن يتصور الانسان أن هناك صلة بينهم أو أن مسلمي اليوم فروع أولئك المسلمين الذين كانوا ينيرون البسيطة بنوز أخلاقهم .

وليس المسلمون اليوم يبخلون بالمال على المحتاجين فقط بل هم يبخلون عن كل مكرمة من إعانة نشر العلم وإغاثة المظلومين وإعلاء الحق والتضحية في سبيل المصلحة العامة بل بلغ الانحطاط بنا إلى حد أننا صرنا نبخل حتى بأقل شيء في الدنيا وهو تحريك السننا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر : فهاؤلاء الخطباء في المساجد لا ينتفع

السامعون بخطبهم وحسبك أن تستفيد منهم دخول رمضان وخروج شهر شعبان وهذا من العبث بمكان ، وهاؤلاء العلماء في حلقاتهم يملأون الفضاء بسفاسف علومهم وسرد الاساطير والنوادر ولا نرى أحداً منهم يقوم مرة واحدة بالدعوة إلى البذل والسخاء ولعلهم يخشون اذا نطقوا بكلمة فلس ان ينفض الناس من حولهم سراعاً ولا يرجعون .

ومع ذلك فإنا نعترف أن المسلمين قد تؤثر فيهم أحياناً الدعاية الى الصدقة ويجد الداعي منهم انصاتاً وفيهم صدى في هذا الباب اكثر مما يجد في غير الصدقة وهنا يظهر أثر التربية الاسلامية التي جعلت للصدقة المكانة التي ذكرناها ولولا مثل هاته الآثار لقلنا إن هاته الامم الراقدة الجامدة الكاسدة إنما تدعي الاسلام زوراً وتنتسب اليه بهتاناً وظلماً .

وكانت في المغارب الثلاث عموماً وفي المغرب الاقصى بالاخص في السنة الماضية حركة خيرية ابتهجت لها النفوس وطربت الافئدة وفرحت لها ملائكة السماء ، وفيما يتعلق بهذه الايالة التي نقصر عليها القول أسست جمعيات وتنافس الرجال في البذل وأوردنا في تفصيل ذلك أخباراً كثيرة نحيل عليها القراء .

وأخيراً بمناسبة عيد العرش أظهر المغرب أيضاً احتفاء خاصا بالفقراء فتبرع نفر من الاهالي بشيء من المال وجادت بعض الادارات بمبالغ وان كانت زهيدة فهي على كل حال أفضل من لا شيء ووزعت الجمعيات الخيرية إعانات على المحتاجين الذين التوت أمعاؤهم من الجوع ، وهذه الرحمة بالفقراء هي التي كست ذلك اليوم المشهود رونقاً خاصاً وبهجة ليس لها مثيل .

أن الفقراء تنكرت لهم الارض فانفتحت لهم أبواب السماء ويا ما أقدر من هذه حاله !

كانت حفلات العرش حفلات شعبية اشترك فيها سائر عناصر البلاد وطبقاتها المختلفة وأجمع الناس على أنه لم يقع فيما مضى من تاريخ المغرب غابره وحاضره مهرجان كمهرجان ذلك اليوم والذي يعهد الجماهير غير الحية متثاقلة بطيئة متهاونة لم يتمالك من استغراب هذه الحركة فكأن منادياً نادى من السماء وكأن الناس نشروا من القبور ، فكان العيد إذاً يوم شعور ويوم حياة ، وكان أيضاً ذلك اليوم الذي فرح فيه الفقراء يوم دعوات مقبولة وإجابة مكفولة ويا لها من صفحة تدخر للبلاد في أعلى عليين !

وتلك الصدقات وذلك الحنان شعور آخر نطرب له وبه نستبشر ، وهذا الشعور يجب أن نسعى في تنميته وأن نعمل لاستثماره وأن نخرج منه « عملا » كعيد العرش يبقى مع ممرّ الزمان ، ولكن نخاف على الحركة أمرين : أولاً أن يعتري حركة الاحسان ما يعتري سائر حركاتنا ، فإنا نتحمس للشيء ثم نهمله ونقتح المدرسة ثم نقفلها بأيدينا ونبدأ الدرس ثم نتركه فلا نداوم ولا نصبر ولا نثبت ، وأمورنا وثبات وأعمال لا تدوم ، نقوم ونعمل العجائب برهة وحيناً ما نرقد ونستسلم للنسيان ونتواعد للقاء ولا نتلاقى ونبني القصور بالقول ولا نعمل إلى غير ذلك من الصفات التي صرنا نتصف بها الآن بسبب ما نحن فيه من انحطاط وليست من شيم آبائنا الذين قاموا بجلائل الاعمال ما يشهد للعرب بثبات أبهر العالم ، فليس عدم الثبات الذي يشاهد منا من طبيعتنا الاصلية ولكن عارض جاء بالانحطاط فقط خلافاً لما يزعمه من يحكم على طبيعة العرب بأعمالهم ومظاهرهم اليوم ، وثانياً نخاف على الحركة اخطاء الادارات فان الحركة الخيرية يترتب عليها جمعيات ودعايات واجتماعات عمومية وخطب وغير ذلك وقد يظهر لبعض الادارات أن في ذلك مغازي سياسية أو ما يؤدي إلى مغازي سياسية فتستاء من ذلك ويحمل الزيغ بعض

الموظفين الصغار الى عرقلة الحركة ، خصوصاً وأن الادارات في كل أرض وتحت كل سماء شديدة التمسك بالامثلة التي تتمشى عليها منذ زمان فهي دائماً متأخرة عن تطور الامة وكل جديد يبعث الموظفين على النظر اليه بمنظار مقلوب ويعتبرونه مقلقاً لراحتهم المرتبة اذ يلزمهم بتغيير تفكيرهم وتبديل أساليبهم التقليدية فهم يقابلون كل حركة غير معهودة بكثير من التحفظ الذي لا مبرر له ولا داع ، فهذا كله يجعل الحركات الوطنية كحركة الاحسان عرضة للعراقيل أحياناً ومن أمثلة ذلك ما اعترض الحركة الخيرية في مراكش وقد وصل التهاون بالضعفاء في عاصمة ابن تاشفين الى حد أن خمسة آلاف فرنك كانت تبرعت بها سيدة محسنة على الفقراء هذا عام لم تصل الى مستحقيها الا في هاته الايام الاخيرة ، وفوق ذلك لم يزدد هذا العدد ولو خمسمائة فرنك كانت تزاد له لو وضع في البنك.

طبيعة الوسط واخطاء الادارات ذلك ما نخاف منه على الحركة الخيرية ، ولأجل هذا طلبنا ونطلب أن ينظم الاحسان تنظيماً رسمياً يجعله في مأمن من سائر الاخطار : من خذلان الامة واخطاء الادارات ، ويكوّن له حياة دائمة مستقرة كغيره من المصالح الوطنية .

ان الاجانب الذين يزورون المغرب لا يترددون في اعجابهم بما يرون فيه من الانقلاب الهائل الذي تمّ في سنوات قلائل وهو انقلاب لم يقع مثله في وطن غيره ويحق للمغرب وفرنسا ان يفتخرا به امام العالم وامام التاريخ فهاته المراسي التي تحجز السفن من طغيان الماء وغضب الاعاصير وهاته السكك التي تخترق الفيافي والجبال من مراكش النخيل الى حدود الجزائر البيضاء وهاته الاسلاك البرقية التي توصل بين البقاع في اقل من لمح البصر وهاته الاراضي المزدانة بالسنابل والاشجار وهاته المدن التي خرجت من العدم تطاول ببنا آتها الشاهقة الجبال كلها جديرة بكل اعظام واكبار ولكن كيفما كانت فهي في نظرنا لا شيء اذا قوبلت بانين جائع على باب قصر يهتز طرباً في غسق الليل البهيم .

والمغرب الذي قام بهذا الاصلاح الهائل وسبق حتى الدول الاوربية في بعض النظم والمشاريع الاصلاحية لا يعسر عليه ان يجعل على رأس العمل الجبار الذي اتمه في مدة قريبة خير ما تزان به الرءوس : تاج الرحمة والاحسان.

على ان الاحسان اسهل الاعمال التي تعرض للرجال واقلها تطلباً للتضحيات ، ومن الغريب انه دائماً متأخر على غيره من الاعمال سواء في حياة الافراد أو في حياة الامم ، فالرجل ينفق الاموال الطائلة من غير حساب في حفلات الاعراس ويبدد المبالغ في السياحات ويبني القصور الشاهقة ليرفع اسمه عند الناس وهو نفسه يبخل بدريهمات تافهة يرفع بها اسمه عند الله والخلق معاً ، ويفرغ اكياس الذهب الوهاج فرحاً مغتبطاً في لذة يحيي بها ليلته ويستثقل اعطاء شيء قليل لمسكين يلقاه في الصباح على عتبة داره يسكب عبرات الاسى والجزع ، ونجلس في المقاهي صباح مساء ونشتت المال الكثير في كل يوم ويقف السائل فنستكثر في حقه عشر ما نبتاع به كاس قهوة لا نحتاجها بحال ، ونخرج من دكان الحلويات ونجد على بابه الفقير البائس ولا نجود عليه للقيام بضرورة عيشه عشر ما نصرفه في ثمن الحلويات التي هي لنا من باب الشهوة لا من باب الضرورة ، ونرى الدول تنفق المليارات في آلات التخريب والتدمير والملايين العديدة في تزفيت الطرقات لراحة الاطومبيلات ومثلها على المسارح والملاهي والحفلات ومثل ذلك على الجرائد والنشرات ولم نسمع مرة في المجالس الدولية احداً يطالب بحق الفقراء حالة انه أوجب الحقوق

وأفضل ما يكتب على السجلات .

ولقد تنفق الدولة المغربية ما يزيد على خمسمائة مليون على موظفيها الكرام ، أفلسنا على صواب اذا طلبنا تنظيم الاحسان الذي لا يستلزم لاغاثة مئات آلاف من المنهوفين اكثر من واحد في المائة مما يبذل لبضعة آلاف من المستخدمين ؟ واليس كل موظف يتنبه الى ذلك يحس بقلق باطني ووخز لاذع في ضميره اذا لم يعن على انقاذ المساكين ويساعد على اقامة هذا النظام الذي نتمناه بكل ما فينا من قوة ألم وانسانية فعالة ؟

ان لدينا نظما في كل شيء شيء : للفلاحة ، للصناعة ، للتجارة ، للتعليم ، للصحة ، للمالية ، وغير ذلك من الشئون العامة ، ولا يعقل ان يبقى الاحسان بغير عناية ونظام ، وهو الذي كان يجب ان ينظم قبل كل شيء .

خصوصاً وانا نعيد القول بان الاحسان هو اسهل النظم كلها و«ارخصها» ولا يكلف اكثر مما يصرف في كل سنة في مصلحة السياحة ، أو في العطف على الغابات ، أو في العناية بالاسوار المهدمة ، أو في انقاذ الآثار التاريخية المدفونة تحت التراب ، أو في غير ذلك من المصالح التي كيفما كانت فهي في نظرنا — ولعل معنا نصيباً من الحق — أقل لزوماً من حماية بني الانسان .

وللاحسان من الآن موارد حسنة مثمرة ، فقد كنا طلبنا ضريبة على اللحم وصدر قرار بذلك ويتحصل من هاته الضريبة مبالغ ذات بال ، ويرجى ان يتحصل منها بالرباط التي هي أقل من فاس ومراكش والبيضاء ستمائة الف فرنك سنوياً في الاقل ، وكنا طلبنا من الاحباس ان توفر ما ترصده في ميزانيتها للاسعاف وفعلا زادت زيادة حسنة ، والميزانية فيها قدر لهذا القصد ، وهذه الموارد يمكن تحسينها ، فالقرار المتعلق بضريبة اللحم مثلا ينبغي تعميم انجازه ، وفيه فصل لا نرى فيه ضرورة ، فهذا الفصل يوجب مخابرة الكتابة العامة في صرف المال المتجمع من الضريبة والاوفق في نظرنا أن يكون صرف المال المتجمع بيد الجمعيات الخيرية لأن مخابرة الكتابة العامة يستلزم - طال الزمان أو قصر - موظفين وصوائر وفي ذلك يضيع مال الفقراء ، وهذا ما شاهدناه في بعض الجمعيات الخيرية ولذلك فان الناس ينفرون من تداخل مثل البلديات كما وقع بمراكش وليس هذا النفور يتسبب عن اغراض سياسية أو حب في الاستقلال ، ثم ان القدر المرصود في الميزانية للاحسان ولعله مليون ونصف كافه للغاية ولا بأس أن ينقص من بعض النفقات في اشياء غير ضرورية لرفع نصيب الاحسان الى القدر الذي يناسب المشروع .

وهناك تبرعات المحسنين وتوجد وسائل كثيرة لادخال البذل في العوائد وحمل الموسرين على تفكر صندوق الاحسان في بعض الاحيان وسنذكر عند الحاجة ما يمكن ان يعمل في هذا الشأن .

واذا نحن طلبنا تنظيم الاحسان تنظيما رسمياً فان طلبنا — زيادة على ما قدمناه من الحجج — تشهد اعمال الحكومة نفسها على احقيته وعلى أنه ممكن ، فالحكومة تعترف بان الاحسان شيء حسن ونعني أنه خارج عن مقاصد السياسة ومفاسدها ولا أدل على ذلك من المال الذي تنفقه في هذا السبيل ، وهي تعترف أيضاً بفائدة تعميمه ومما يشير الى ذلك انها قررت ضريبة اللحم على وجه العموم وجعلت في القرار المؤسس لعيد العرش امانة الفقراء من مظاهر الفرح بهاته المناسبة ، وهي تعترف بان الاحسان يحتاج الى تداخل الحكومة ، وحجتنا في ذلك تاسيس جمعيات خيرية وملاجئ للضعفاء في العام الماضي في البادية بامرها

ولولاها ما كان ليقع ذلك .

إذاً نحن متفقون في كل شيء : الاحسان شيء حسن والاحسان يجب تعميمه والاحسان يحتاج الى الحكومة .

بل نقول إن الاحسان فرض على الحكومة في بلاد الاسلام ، فان اسعاف الفقراء كما قدمنا قانون دولي وحق من الحقوق المسجلة في دستور الامم الاسلامية والفقراء حين يطلبون كسرة يقتاتون بها أو كساء يسترون به عورتهم ويقيهم البرد لا يطلبون فضلا أو مزية بل يطلبون حقاً واجباً لهم وديناً يتحتم على الدولة والافراد أن يؤدوه عن يدٍ وهم صاغرون ، واذا كان هناك من ينازعنا في هذه النظرية فانا مستعدون لتقديم دعوى باسم الفقراء لدى احدى المحاكم الشرعية وسنرى اذا كان هناك قاضٍ يحكم بغير ما انزل الله ! !

والآن لعلنا بينا ان تنظيم الاحسان لا بد منه ، وتنظيم الاحسان يكتسب المغرب به مجداً لا يضاهيه مجد ولا يستلزم تضحيات هائلة وانما شيء من الانسانية وجرة قلم تحت اربعة أو خمسة اسطر لا غير تكون خير ما كتب كاتب وانفع ما خطته الاقلام : ظهير شريف في تنظيم الاحسان بالايالة الشريفة .

وأول شيء في نظرنا يؤسس عليه نظام الاحسان انشاء لجنة مركزية بالعاصمة يكون من مهمتها : مراقبة الجمعيات الخيرية الموجودة الآن ، وتاسيس جمعيات اخرى في المدن التي ليست فيها جمعية حتى تتوفر كل مدينة على ضعفائها ولا يتسربون لجهة اخرى ، وإنشاء ملاجئ في البادية ، وبث الدعاية للاحسان والبحث عن موارد لصندوق الاحسان الى آخر ما يتعلق بهذا العمل الجليل .

وبعد فنرفع من جديد الى الدوائر العليا طلبنا المتواضع في تنظيم الاحسان ونخاطب في ذلك بالاخص صاحب السعادة الصدر الاعظم وجناب المعتمد وزير فرنسا المفوض ونرجو من حضرات مدير الادارة الشريفة م. جيراردان ومراقب الاحباس م. طور ومدير المراقبات م. كونتار ومن كل مسلم « حقيقة » ومن كل فرنسي « حقيقة » ان يؤيد طلبنا هذا بكل ما في قلب من انسانية ودين .

ولعلنا استعملنا احياناً لهجة جافة ولكن نتكلم عن رجال لهم قوت وشرب وسكنى بأمر الله ولهم دين ثابت وحق يشهد به الوحي وهم يموتون جوعاً يستغيثون ربهم بالليل والنهار بينما غرماؤهم ينعمون بكل ما في الحياة من زهو ومتاع ، فانا اذاً لمعذورون .

م.

***

ابن احمد — اسست جمعية خيرية بهاته القرية وتبرعت الحكومة بخمسين الف فرنك لبناء ملجا خيري، فنشكر المراقبة التي دعت الى هذا التأسيس كما نشكر اخواننا العاملين شكراً جزيلا.

**

الرباط — انعقد اخيراً اجتماع عام بالمحكمة الباشوية للنظر في ميزانية الجمعية الخيرية واجراء الانتخابات لهيأة مجلسها الاداري ، وكانت النتيجة ان ابقيت هيأة المجلس الاداري كذي قبل ، وحسناً فعل الحاضرون ؛ واما ما يتعلق بالميزانية فسننشر في العدد المقبل التقرير المفصل الذي قدمه الكاتب العام في هاته الجلسة ، وحسبنا الساعة ، ان نتمنى في كل بقعة جمعية كجمعية الرباط .

**

مراكش — كانت مدام بونصو تبرعت هذا عام بخمسة آلاف فرنك على الفقراء وقرأنا في الجرائد ان هذا العدد وزع عليهم في هاته الايام الاخيرة فقط وهذا يدل على ان اهل مراكش مصيبون في نفورهم من تداخل الموظفين — وبالاخص بعض موظفيها الذين يعرفونهم ونعرفهم اكثر مما تعرفهم الادارات العليا — في شئون الخيريات ، فنرجو ان تؤذن مراكش في تاسيس جمعية خيرية على النمط التي تريده ، وما دامت الجمعية لم تؤسس فنرجو من مدام بونصو ان تفرق تبرعاتها على المساكين بنفسها في المستقبل .